هل كان بشار بن بُرْد شاعراً عُذريّاً ؟

Was Bashar ibn Burd a chaste poet?

أ.د. أحمد حياوي السعد Prof.Dr. Ahmad Hayyawi Al-Saad

كلية الآداب / جامعة البصرة College of Arts / University of Basra

Dr.ahmedalsaad@gmail.com

ملخص :

يتناول هذا البحث غزليات بشار بن بُرْد العذريَّة ، تلك التي حجبتها ، عن القارىء ، أهاجيه المُتطرِّفة وغزلياته الماجنة . فهل أَحبَّ بشار حقّاً أم كان غزلُهُ من باب التنويع والتَّحدِّي ؟ . هذا ما سيُجيب عنه البحث ، بالدرس والتحليل ، في الصفحات التالية .

Summary :

This research addresses the virgin odes of Bashar ibn Burd, which were overshadowed by his extreme satire and lascivious love poetry. Did Bashar truly love, or was his romantic poetry simply a means of variety and challenge? This is what the research will answer through study and analysis in the following pages.

كلمات مفتاحية : بشار ، العذريَّة ، تنويع ، تحدِّي .

Keywords : Bashar, Virginity, Diversification, Challenge.

إضاءة قبل الجواب:

يُقدِّم هذا البحث مشهداً نقديّاً على قدرٍ من التفصيل يُظهر مساحة بعينها من تلك المساحات التي بقيت بكراً من موضوعات (**النَّص البشَّاري**) ، والتي حجبتها أهاجيه المُتطرِّفة وغزليَّاته الماجنة بحجاب سميك من وفرتها وشهرتها ، فلم يكد يَمرَّ بها الدَّرس العربي القديم والحديث إلاَّ لِمَاماً ، أو اكتفى بالمرور على أطرافها النَّائية عن مراكزها التي لا يعدم بعضها الثَّراء والنُّشُوط الدَّلالي ، أما السَّواد الأعظم منها فبقي أرضاً بكراً لم تطأها الأقدام من نحو : (**غزليَّاته العذريَّة المثيرة للتساؤل**) ، التي تذكرنا بغزليات جميل وزملائه المحبِّين العذريين بكلِّ ما تتضمَّنه من عفَّة وطهر ، وصفاء ووفاء ، وشعور نبيل نحو المرأة ، وحرص على كرامتها ، ورضىً بالألم والعذاب حتى لا تُجرح في عِرضِها وعِزَّتِها . وهو ــ في كلِّ ذلك ــ يُرينا هواه في شُعور رقيق

ووصف عميق ، ويُسمعنا الزَّفرات ويُسيل العبرات حتى لتحس بأنَّه ميِّت من الوجد والصَّبابة . **فهل أَحبَّ بشَّار حقّاً ؟. وهل عانى آلام العشق وصدر في غزله عن تجربة صادقة ؟. أَم نظم ما نظم جرياً على سنن القدماء وضرباً على أوتارهم ؟. أو أنَّه كان يقصد إلى هذا الغزل قصداً ويتعمدهُ تعمُّداً حتى يُثبت أنَّ له قدرة على الخوض في موضوعات جديدة إذا أراد .. أو بتعبير أدق أنَّ سلوكه هذا كان من باب التنويع أو التَّحدي ؛ لأن أغلب هذه الأشعار يكون امتحاناً لإثبات قدرة الشَّاعر ومقدرته الفنيَّة .**

إنَّنا سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة ، معتمدين على القليل الذي ورد إلينا من أخباره وأشعاره في هذا الشَّأن ، وعسى أنْ نستطيع النَّجاح في نظر القارئ الكريم والله ولي التوفيق .

بشَّارُ بنُ بُرْد والغزل العُذري :

ظفر الغزل العذري بثروة طائلة من الجهود القيِّمة والمفيدة ، صدرتْ عن أساتذة أجلاَّء غير أنَّ هذا الجهد البحثي السَّاعي إلى مُقاربة هذا النَّص قد انصبَّ على أفراد بارزين فيه ، أمثال : جميل بُثينة ، وكُثيِّر عزَّة ، وقيس لبنى ، وقيس ليلى ... حتى لكأنَّما كان هؤلاء وحدهُم ما عُرف في نجد وبوادي الحجاز في حين أنَّ هناك كثيراً من الشُّعراء الذين وقفوا حياتهم على هذا الفن أو أكثروا القول فيه وظفروا بإجادته وإتقانه أكثر من المعروفين ، ولكنْ بخل الدَّارسون عليهم فلم يعدُّوهم من شعراء الغزل العفيف ؛ لأنَّ القدماء من الباحثين لم يُشيروا إليهم ولم يحدثُونا عن هويَّة محبوباتهم كما حدَّثونا عن هويَّة عزَّة معشوقة كُثيِّر أو هويَّة بُثينة معشوقة جميل ، وكأنَّ أسطورة الشَّاعر لا تكتمل دون مُلهمة يحصر الإخباريُّون فيها جُلَّ أشعار صاحبها .

وقد يكون هذا الانصراف مرتبطاً بندرة المصادر المؤرِّخة لهؤلاء الشُّعراء وأنَّ معظمَ دواوينهم إنَّما هي نتيجةُ جَمْعٍ متأخرٍ لم يكتمل إلاَّ في عصرنا الحديث .

أو لعلَّ هؤلاء الدَّارسين رأوا أنَّ العذريَّة وليدةُ الحرمان والشَّوق الدَّائمين فعدُّوهما شرطاً أساسيّاً لا يملك الشَّاعر أنْ يتخطَّى حدودهما ويطلق عاطفته من عقالهما وإلاَّ نأى بهما عن مفهوم العذريَّة وخرج فيهما على أُصول العذريين .

غير أنَّ من الثَّابت أنَّ العذريَّة كانت في بدئها تعني حياة العاشقين في البادية وقد ترجم الشُّعراء مواجدَهُم فتناقلها الرُّواة وأُعجب النَّاس بهذه النَفَثَات التي راح الشُّعراء يُكثرون منها حتى

أصبحت من موضوعات الغزل الرَّئيسة يتناولها شعراءُ البادية والمدن على السَّواء ومعنى ذلك أنَّ العذريَّة قد تكون ـ كما هو شائع منذ القديم ـ وليدةَ الحرمان والشَّوق الدَّائمين ولكنَّها ليست في كلِّ حالٍ وَقْفاً عليهما ، إذْ يفرض المتحضِّر على نفسه أحياناً ولوقتٍ معلوم هذا النَّوع من الحب المهذَّب ليزداد شوقاً واحتراقاً ، فتكون العذريَّة حينئذ خارج إطار البادية أو حرمانها الإضطراري ناهيك عن أنَّ العذريَّة غالباً ما تكون مجرَّدَ موضوعات فنيَّة يتغنى بها الشُّعراء لانمطَ حياة يتقيَّد بها الإنسان ، **ومن هنا نحنُ ، على عكس ما يذهب إليه كثيرٌ من الدَّارسين ، لا نسلِّم بالحرمان قيداً فنيّاً لا يجوز للشَّاعر أنْ يَحيدَ عنه أو يغفلَهُ ، بل ليس من الحقِّ أنْ نعدَّهُ مقياساً صارماً نُقنِّن به العمل الشِّعري ؛ لانَّ الشِّعر فيضٌ تلقائيٌّ لمشاعر قويَّة ، والشَّاعر عندما تجيش نفسُهُ بالشِّعر لا يضع ، دائماً ، قواعدَ ومقاييسَ وإنَّما يأتي هذا طَواعية ليلائم أحاسيسَهُ وانفعالاته .**

كما أنَّه لا يسعنا أنْ نسلِّم بعذريَّة أهل البادية دون أهل الحضر ؛ لأنَّنا لا نُؤمِن بالعذريَّة نمط حياة بدويَّة بالضَّرورة ؛ ذلك أنَّ العذريَّة ـ كما قلنا ـ كانت في مختلف مراحلها تعني الفن المعذَّب في التودد إلى المرأة الحبيبة . ومن هنا كانت العذريَّة لا تتنافى والأوساط المتمدِّنة وإنْ تكنْ جذورُها نبتت في الصحراء البادية ؛ لأنَّ التودد المهذَّب إلى المرأة التي لها مكانة رفيعة في نفوس الرِّجال قد يكون وليدَ المدنيَّة المترفة والرُّقيِّ مثلما يكون وليدَ البداوة والفقر والحرمان . وربَّما كان في هذه الأوساط المتحضِّرة أكثر انتشارا وشيوعاً ؛ لأنَّ الأناقة تفترض هذه اللِّياقة في التصرُّف والتنميق في المظاهر[1] .

وقد تكون من الأسباب التي جعلت الدَّارسين ينشغلونَ عن هؤلاء الشُّعراء بالعذريين من الغزليين ، فضلاً عن الأسباب التي ذكرناها : أنَّهم اشترطوا في هذا الغزل (**التوحيد في الحب**) ، **وهذه دعوى باطلة ؛ لأنَّ هذا التوحيد المثالي ليس حتميَّةً مُلحَّةً ، حقّاً ربَّما كان موجوداً في سيرة بعض الشُّعراء وأشعارهم ولكن عدَّهُ شرطاً فنيّاً ليس وارداً أصلاً** .. وإلاَّ فما معنى قول المجنون[2]:

مَحَا حُبُّها حُبَّ الأُلى كُنَّ قبلها وحلَّت مكاناً لم يكُنْ حُلَّ من قَبْلُ

أَلاَ يعني هذا بوضوح تعدد التجارب ... بل لعلَّه من المُدهش أنْ ينفردَ ابنُ قُتيبة بالقول بأَنَّ المجنونَ كان له عَقَبٌ بنجد[٣] ، ويعني ذلك أنَّه تزوَّج وأنجبَ ولم يقصر حياتَهُ على ليلاه ، وهو أمرٌ لم يُعجب رواة المجنون .. فلم يلتقط روايةَ ابن قُتيبة أحدٌ بعده فيما نقرأ .

وقد كان (توبة) ، أيضاً ، متزوِّجاً كما ذكرت ليلى الأخيليَّة في شعرها وكانت هي متزوِّجة[٤] ، وقد نظمتْ فيه ونظم فيها شعراً عذريّاً عذْباً . وكان (كُثيِّر) متزوِّجاً وهو ينظم شعره العذري في عزَّة [٥] . ولعلَّ جميلاً وغيرَهُ من العذريين كانوا يمارسون من حياة النَّاس في أُسرهم ومعاشهم ما ألغاهُ الرُّواة والمؤلفون إلغاءً متأثرينَ بمثال العفَّة وإخلاص العاطفة ، أو موجِّهينَ اهتمامهم كلَّه إلى مثار الأهميَّة في حياة هؤلاء الشُّعراء وهو حبُّهم ومُعرضين عمَّا سوى ذلك مما فسَّره اللاَّحقون بأنَّ حياتهم كانت فراغاً كاملاً لحبٍّ يائس .

وما نُريد أنْ نصلَ إليه منْ ذلك هو أنَّ التوحيدَ منْ صنع الرُّواة والإخباريين ـ أي هو مفروضٌ منْ خارج النَّصِ لا منْ داخلِهِ ـ وما هو مهم هو الحبُّ الصَّادقُ الحقيقي في فترة من حياة الرَّجل تطول أو تقصر.

ثمَّة ملاحظة أخيرة جديرة بالذِّكر ، هي : أنَّ المرأة في ظاهر هيأتها وخلقتها وبنيتها التكوينيَّة هي التي توجِّه النَّظرة العامة إلى الرَّجل وتُعيِّن الموقفَ منها .. فهنالك امرأةٌ خليقةٌ بإثارة الشَّهوة العارمة عند الرَّجل ، أو قُل إثارة شوقه إلى الاستمتاع الجسدي ، بينما لا تُثير في نفسه أخرى إلاَّ المعاني العميقة أو العواطف الصَّادقة الحيَّة التي لا صلة لها بالمتعة الجسديَّة إلاَّ بمقدار ضئيل[*] ، فتكون الأولى مُلهمة لغزل حسِّي مكشوف تُحرِّكهُ الشَّهوة .. على حين تكون الأُخرى مُلهمة لغزل روحيٍّ عفٍّ . **ومعنى ذلك أنَّ للمرأة في كلِّ مكان وفي كلِّ حين تأثيرها الحتمي في تربية العواطف وتهذيب المشاعر ، والسُّمو بالمتعة واللَّذة وتحويلها من النَّاحية المادية العابرة الطَّارئة إلى ناحية نفسيَّة معنويَّة تجلُو إنسانيَّة المجتمع وتظهرها في أجمل صورة وأَبهى مظهر .**

ولعلَّه لذلك أرى من الخطأ في الرأي أنْ تُحصر العذريَّة ضمن حدود جغرافيَّة معيَّنة[*] ؛ لأنّها ليست إذْ نردُّها إلى أُصولها الصحيحة حالةً فرديَّةً خاصَّةً ولا مزاجاً تفرَّد به أُناس وندَّ عنه آخرُون وإنَّما هي **ــ في التحليل الأخير القائم على إيحاء من إيحاءات المرأة ــ** نهجٌ في الحب

يطرقُهُ كل مَنْ أراد التغنِّي بعواطف الحبِّ والهيام الشَّديد سواءً أكان الشَّاعر من أهل الوَبَر أم كان من أهل المَدَر ؛ لأنَّ هذه العذريَّةَ صورةٌ فنيَّةٌ قبل كل شيء والفن كما يقول أرسطو ليس تصويراً للحياة وحَسْب بل هو إيهامٌ بالحياة والسُّمو بها فوق الواقع . وما الأثر الذي تركه العذريُّون في شعراء الشَّرق والغرب إلاَّ دليل على أنَّ العذريَّة أصبحت موضوعاً فنيّاً أكثر ممَّا هي وثيقة حياة تكشف عن سيرةِ شخصٍ أو تأريخ قبيلة .. بل لقد أصبحت العذريَّة ، مع الزَّمن ، مذهباً نظريّاً له خصائصه ، ومنهجاً يسير عليه كثيرٌ من الشُّعراء ، ويُؤلِّف فيه كثيرٌ من المؤلِّفين . وليس أدل على ذلك من قول ابن السَّراج صاحب مصارع العشاق[٦] :

لولا الهوى العذري يا هند لم أشك النَّوى قَطُّ ولا شحطها

ويقول ابنُ مطرف الغرناطي[٧] :

أنا صبٌّ كما تشاء وتهوى شاعرٌ ماجدٌ كريمٌ جوادُ
سُنَّةٌ سنَّها قديماً جميلٌ وأَتَى المحدثون مثلي فزادوا

وإحقاقاً للحق نقول : إنَّنا نجد تلك الحالة في مرحلة مبكرة بعضها في العصر الإسلامي وبعضها في صدر الدَّولة الأُموية . فقد سبق أنْ قال القدماء في عروة بن حزام إنَّه لم يحب ولم يَعشق ولا يقول إلاَّ كلام العاشقين[٨] . وفي كُثيِّر عزَّة إنَّه كان يكذب في شعره[٩] .

وبديهي أنَّ مثلَ هذه الأحكام لها دلالتُها من النَّاحية الفنيّة ؛ لأنَّها تُشير إلى أنَّ بعضَ العذريين كانوا يتقوَّلون ويصطنعونَ حالات العشق ؛ لأنَّها موضوعات فنيَّة أكثر ممَّا هي معاناة ذاتيَّة صادقة .

وإذا كانت العذريَّةَ صفةٌ شعريَّةٌ أكثر منها حياة تُعاش ، فلا غرابةَ أنْ يظهرَ في القصائد إفتنان الشُّعراء في التودُّد إلى المرأة بأُسلوبٍ أنيقٍ مهذَّبٍ بعيد كل البُعد عن الابتذال والشُّيوع .

ولكي نُعيد تأكيد هذه الحقيقة الهامَّة مرَّة أُخرى ، نقف وقفةَ تأمُّلٍ عند الشَّاعر الكبير (**بشَّار بن بُرْد**) . فهذا الرَّجل الذي عرفناهُ بقصائده الحسيَّة المُسرفة في واقعيَتِها نقع له في هذا الصَّدد على أشعارٍ تقطرُ عاطفةً ولوعةً وتفيضُ رقَّةً وسحراً . وتتجسَّد هذه الأشعار في معظم غزله بـ (**عَبْدة**) التي تُعد تَرنيمةَ أطفالٍ بريئة تأخذ بأفكارنا بعيداً عن النَّظرة الشَّائعة عن الرَّجل ، فهو ،

هنا ، لا يرى في المرأة مثاراً شهوانيّاً وإنَّما يرسمها في جوٍّ عذريٍّ عفيف يعانق الرُّوحَ ويعزف عن نداء الجسد .

وعَبْدة هذه هي أشهر خليلات بشَّار ، وأكثرهنَّ ذِكْراً في شعره ، ولذلك خصَّها أبو الفرج الأصفهاني بأخبار بشَّار معها في ترجمةٍ خاصَّةٍ[١٠] .. **وكأنّه أحسَّ أنَّ غزلهُ فيها يختلف عن غزلهِ في غيرها** . وهي من أهل البصرة وكان بشَّار قد تعشَّقها من سماع لطف حديثها ، إذْ زارتْهُ في مجلسه مع نسوةٍ وكاشفها بحبِّه بواسطة غُلامه فهشَّت له ، وفيها قال[١١] :

يـا قَـومِ أَذنـي لِـبَعضِ الحَـيِّ عاشِـقَةٌ ... وَالأُذنُ تَعشَـقُ قَبـلَ العَـينِ أَحيانـا
قـالوا بِمَـن لا تَـرى تَهـذي فَقُلـتُ لَهُـم ... الأُذنُ كَـالعَيْنِ تُـؤتي القَلـبَ مـا كانـا
هَـل مِـن دَواءٍ لِمَشـغُوفٍ بِجارِيَـةٍ ... يَلقَـى بِلُقيانِهـا رَوحـاً وَرَيحانـا

وقد تدلُّنا بعض الأخبار على أنَّ عَبْدة كانت تُبادلهُ الحبَّ ، فهي تزورُهُ وتراسلُهُ وتطلبُ رؤيته لشوقها إليه . فيروي أحدهُم أنَّه كان عند بشَّار ذات يوم إذْ أتتهُ امرأةٌ فقالتْ : يا أبا معاذ (عَبْدة) تقرئُك السَّلام ، وتقول لك : قد اشتدَّ شوقُنا ولم نَرك منذ أيَّام ، فقال : من غير مقلية والله كان ذلك ، ثم قال لراويته : يا هُشام خُذِ الرُّقعةَ واكتبْ عليها[١٢] :

عَبْـدَ إنِّـي إلَيـكَ بِالأَشـواقِ ... لِـتَلاقٍ وَكَيـفَ لـي بِـالتَلاقي
أَنـا وَاللَـهِ أَشـتَهي سِـحرَ عَينَيـ ... ـكِ وَأَخشـى مَصـارِعَ العُشَّـاقِ
وَأَهـابُ الحَرسِـيَّ مُحتَسِـبَ الجُنـ ... ـدِ يَلُـفُّ البَـريءَ بِالفُسَّـاقِ

إلاَّ أنَّ علاقتَهُ بعَبْدَة لم تبقَ على هذا الحال ، إذْ تزوَّجت برجلٍ من عُمان يقال لـه (ابن قائد)[*] ، ورحلت معه إلى بلاده ، وبقي بشَّار على ذكرها في أشعاره فترة من الزَّمن ، كمثل قوله[١٣]:

لَقَـد زادَنـي مـا تَعلَمـينَ صَـبابةً ... إلَيـكِ فَلِلقَلـبِ الحَـزينِ وَجيـبُ
وَمـا تُـذكَرينَ الـدَّهرَ إلَّا تَهَلَّلَـت ... لِعَينَـيَّ مِـن شَـوقٍ إلَيـكِ غُـروبُ
أَبيـتُ وَعَينـي بِالـدُموعِ رَهينَـةٌ ... وَأُصـبِحُ صَـبّاً وَالفـؤادُ كَئيـبُ
إذا نَطَـقَ القَـومُ الجُلـوسُ فَـإنَّني ... أُكِـبُّ كَـأَنِّي مِـن هَـواكِ غَريـبُ

يَقولـــونَ داءُ القَلـــبِ جِـــنٌّ أَصـــابَهُ وَدائِـــي غَـــزالٌ فـــي الحِجـــالِ رَبيـــبُ
إذا شِـئتُ هـاجَ الشَّـوقُ وَاِقتـادَهُ الهَـوى إِلَيـــكِ مِـــنَ الـــرِّيحِ الجَنـــوبِ هُبـــوبُ
هـوى صـاحِبي ريـحُ الشِّـمالِ إِذا جَـرَت وَأَهـــوى لِقَلبِـــيَ أَنْ تَهُـــبَّ جَنـــوبُ
وَمـــا ذاكَ إِلَّا أَنَّهـــا حـــينَ تَنتَهـــي تَنـــاهَى وَفيهـــا مِـــن عُبَيـــدَةَ طيـــبُ

وقوله أيضاً واصفاً حالَهُ بعد زواجها[١٤]:

أَبيـــتُ أَرمَـــدَ مـــا لَـــم أَكتَحِـــل بِكُـــمُ وَفـــي اِكتِحـــالٍ بِكُـــمْ شـــافٍ مـــنَ الرَّمَـــدِ
كَـــأَنَّ قَلبـــي إِذا ذِكـــراكُمُ عَرَضَـــت مِن سِحرِ هاروتَ أَو ماروتَ في عُقَدِ
مـــا هَبَّـــتِ الـــرِّيحُ مِـــن تِلقـــاءِ أَرضِـــكُمُ إِلَّا وَجَـــدتُ لَهـــا بَـــرداً عَلـــى الكَبِـــدِ
يَـــروقُ قَلبـــي وَتَـــزدادينَ لـــي غِلَظـــاً مـــا ذاكَ فيمـــا أُرَجِّـــي مِنـــكِ بِالسَّـــدَدِ
تَحَرَّجـــي بِـــالهَوى إِن كُنـــتِ مُؤمِنَـــةً بِاللَـــهِ أَنْ تَقتُلـــي نَفْســـاً بِـــلا قَـــوَدِ
إِنْ كُنـتِ تَخشَـينَ شِـرْكاً فـي مَـوَدَّتِكُم فَقَـــد تَثَبَّـــتَ بَـــينَ الـــرُّوحِ وَالجَسَـــدِ

ويحس القارئ في غزل بشَّار بعَبْدَة احتراماً وإجلالاً وحرصاً على إظهار التوبة ممَّا عُرف عنه ، كأنْ يقول مثلاً[١٥]:

يـــا عَبـــدَ حُبِّـــي لَـــكِ مَســـتورُ وَكُـــــلُّ حُـــــبٍّ غَيـــــرِهِ زُورُ
إِنْ كـــانَ هَجـــري سَـــرَّكُم فَـــاِهجُروا إِنِّـــي بِمـــا سَـــرَّكِ مَســـرورُ

ويقول[١٦]:

يـــا عَبـــدَ بِاللَـــهِ فَرِّجـــي كُرَبـــي فَقَـــد بَرَانـــي وَشَـــفَّني نَصَـــبي
وَضِـــقتُ ذَرعـــاً بِمـــا كَلِفـــتُ بِـــهِ مِـــن حُـــبِّكُم وَالمُحِـــبُّ فـــي تَعَـــبِ
فَفَرِّجـــي كُربَـــةً شَـــجيتُ بِهـــا وَحَـــرَّ حُـــزْنٍ فـــي الصَّـــدرِ كَاللَّهَـــبِ
وَلا تَظُنِّـــي مـــا أَشـــتَكي لَعِبـــاً هَيهـــاتَ قَـــد جَـــلَّ ذا عَـــنِ اللَّعِـــبِ

فهو يعترف صراحةً أنَّ حبَّهُ غيرها كان لعباً ، أمَّا حبُّه لها فقد جَلَّ عن أنْ يكونَ كذلك . وليس بِدْعاً من المُحب ـ والحال هذه ـ أنْ يمنحَ حبيبتَهُ من القدرة ما تقصر دونهُ قدرة النَّاس ، فيهبها من التقديس ما تستحق به أنْ تُعبد[١٧]:

لَـم يَكُـن لـي رَبٌّ سِـوى اللَـهِ يـا عَبـ ـــدَ فَمـا لـي اِتَّخَـذتُ وَجهَـكِ رَبَّـا

بل أنَّه ليهبها قدرة على أَنْ تُميته وتُحييه كما تشاء[١٨] :

مـا تَـأمُرينَ بِـذي عَـينٍ مُؤَرَّقَـةٍ إِنْ شِـئتِ مـاتَ وَإِنْ خَلَّدتِـهِ خَلَـدا

ويقول في بيتٍ آخر[١٩] :

وَلَـوَ اَنَّنـي فـي التُّـربِ ثُـمَّ دَعَـوتِني لَبَّيـتُ صَـوتَكِ وَالعِظـامُ رُفـاتُ

ويُنسيه هواها نفسَهُ فيذهل عن واجبه نحو ربِّه ، فلا يعود يضبط ما أَتَى وما تَرك من ركعاته[٢٠]:

مـا أُصَـلِّي إِلّا وَعِنـدي رَقيـبٌ قـائِمٌ بِالحَصَـى يَعُـدُّ سُـجودي

وقد ألَّم الشُّعراء العذريُّون ــ من قبلُ ــ بتلك المعاني الروحيَّة المُعجزة في وصف حبيباتهم ؛ وكأنَّهم ــ كما يقول ستندال ــ خاضعونَ لنظرية التبلور لا يرونَ حبيباتهم كما هي في الواقع ، بل كما يتصورونها بتأثير الصَّبابة والهيام[٢١]. وقد اشتهر من ذلك قول المجنون[٢٢]:

أُصـلِّي فـلا أَدري إذا مـا ذكرتُهـا اثنتـينِ صـلَّيتُ الضُّـحى أم ثمانيـا

فنسيان فريضة الصَّلاة وما يُصيب المُحب من ذهولٍ ، هي الصُّورة نفسُها التي رأيناها عند بشَّار والصِّياغة متقاربة هنا وهناك .

ومثل المجنون ، قيس لبنى ، فصاحبته ذات قدرة على أنْ تُميتَ وتُحيي عاشقَها كما تشاء ــ وهذا قريب لِماَ قرأْناه في شعر بشَّار ــ فهو يقول[٢٣] :

بيـديك قتلِـي إنْ أردتِ منيَّتِـي وشـفاء نفسـي إنْ أردتِ شـفائِيَهْ

وكما يتخذ بشَّار وَجْهَ عَبْدَة ربّاً ، كذلك يتخذ المجنون من دار ليلى قِبْلةً لصلاتِهِ ، فيقول[٢٤] :

ترانـي إذا صـلَّيت يمَّمْـتُ نحوهـا بِـوجهي وإنْ كـان المُصـلَّى ورائيـا

أما جميل فيخبرنا بأنَّ حديثَ بُثينة يبعث الموت ويهب الحياة ، فيقول[٢٥] :

ولــو أنَّ داعٍ منــك يــدعو جنــازتي وكنــتُ علــى أَيــدي الرِّجــالِ حَييــتُ

وهذا المعنى من جملة ماعبَّر عنه بشَّار في تصوير كلام المحبوبة الذي يُحيي الموتى ويَبْعث الحياة **ممَّا يؤكد نمطيَّة تلك المعاني ومقدار احتذاء بشَّار إيَّاها في خطوطها العامة وأجزائها ومعجمها بما فيه من بساطة ووضوح .**

وبشَّار ، كغيره من الشُّعراء المحبِّين ، دائم الكتمان خوفاً على محبوبتِهِ من قالاتِ السُّوء ووشاياتِ النَّاس[٢٦] :

يــا عَبْــدَ حُبُّــكِ شَــفَّني شَــفَّا وَالحُــبُّ داءٌ يُــورِثُ الحَتفــا
وَالحُــبُّ يُخفيــهِ المُحِــبُّ لِكَــي لا يُســتَرابُ بِــهِ وَمــا يَخفــى

وقد يدفعه الحذر إلى استخدام قناع الرَّمز والكُنَى لِإخفاء شخصيَّة حبيبتِهِ[٢٧]:

يــا قُــرَّةَ العَــينِ إِنِّــي لا أُسَــمِّيكِ أَكنِّــي بِــأُخرى أُسَــمِّيها وَأعنيــكِ
أَخشــى عَلَيــكِ مِــنَ الجــاراتِ حاسِــدَةً أَو سَــهْمَ غَيــرانِ يَرمينــي وَيَرميــكِ

ولكنَّه كثيراً ما يعجز من كَتْم الحبِّ ، وكيف يَكتُم عاطفةً غلاَّبةً لا طاقةَ له باحتباسها[٢٨]:

قَــد كَتَمــتُ الهَــوى مَلِيّــاً فَلَمَّــا ضِــقْتُ ذَرعــاً بِحُــبِّ عَبْــدَةَ باحــا

وأحياناً يبكي فتشرح دموعُهُ حكايةَ حالِهِ[٢٩] :

وَإِذا تَعَــرَّضَ ذِكرُهــا كاتَمتُــهُ وَكَفــى بِــأَدمُعِيَ السِّــجامِ شُــهودا

وقد يدرك الشَّاعر أنَّ حبَّه يجري عبثاً حتى لَيثُور ، في بعض الأحيان ، في وجه نفسِهِ مخاطباً لها قائلاً : ما فائدة هذه العلاقة والحب إذا كانت (عَبْدَة) لا تتوِّلَهُ من مطالبِهِ إلاَّ مواعيدَ كاذبة[٣٠]:

دَع ذِكــرَ عَبــدَةَ إِنَّــهُ فَنَــدُ وَتَعَــزَّ تَرفِــدُ مِنــكَ مــا رَفَــدوا
مــا نَوَّلَتــكَ بِمــا تُطالِبُهــا إِلَّا مَواعِــدَ كُلُّهــا فَنَــدُ
فَاِســكُن إِلــى سَــكَنٍ تُسَــرُّ بِــهِ ذَهَــبَ الزَّمــانُ وَأَنــتَ مُنفَــرِدُ

ويُمكن أنْ يُفهم من البيت الأخير أنَّ الشَّاعر كان يَرمي إلى الزَّواج من عَبْدَة ويأْبى أنْ يتزوَّجَ غيرَها ، وكانت هي تُطمعهُ في ذلك ولا تَفِي ، ولذلك يغري نفسَهُ بالزَّواج من غيرِها ليتخلَّص من وحدتِهِ القاتلة .

وكيفما كان الأمرُ فإنَّه يعود ويتراجع عن قوله هذا مؤكِّداً أنَّه لا يزال يقف من الفكرة موقفَ المتردِّد وكأنَّها لم تمر بذهنِهِ إلاَّ لمجرد تهديد عَبْدَة بالانصراف عن حبِّه ، علَّه يصل إلى شيءٍ من وراء هذا التهديد[٣١] :

أَهُـــمُّ بِـــأَنْ أَقـــولَ وَدِدتُ أَنِّـــي سَـــلَوتُ فَمـــا يُطـــاوِعُني لِســـاني

وقد يلتجئ في ثورتِهِ تلك إلى الله ليخلِّصهُ ممَّا ابتلاهُ به ، إذْ لم يكنْ هناك طريق لبلوغ غايته[٣٢] :

وَلَقَـــد قُلـــتُ حـــينَ أَنصَـــبَني الحُبْـــ ـــبُ فَـــأَبلى جِســـمي وَعَـــذَّبَ قَلبـــي
رَبِّ لا صَـبرَ لـي عَلـى الهَجْـرِ حَسـبي فَـــأَقِلني حَســـبي لَـــكَ الحَمـــدُ حَسْـــبي

وأحيانا يلجأ إلى استخدام الرُّقى على عادة العرب لتشفيه من الجوى ، وهو ما كان يلجأ إليه العذريُّون ، فيقول[٣٣]:

وَعَزَّيـــتُ نَفســـي عَـــن عُبَيـــدَةَ بِـــالرُّقى لِتَســـلى وَمـــا تَسْـــلى عَـــنِ الرُّقَيـــاتِ

وهذا شبيه بقول عروة بن حزام[٣٤] :

فمـــا تَركـــا مِـــن رقيـــةٍ يعلمانهـــا ولا ســـــلوة إلاَّ وقـــــد رقيـــــاني

ولكنَّه على الرُّغم من بذلِهِ الجهد في سبيل السُّلو ، ومن توجِّهه عن رغبةٍ صادقةٍ في ذلك إلى الله ، لا يجد طريقاً للخلاص ، فقد تمكَّن الهوى منه وظهرت آثارُهُ عليه فصار مشهوراً به لا يخفى[٣٥] :

أُحِـــبُّ بِـــأَنْ أَكـــونَ عَلـــى بَيـــانِ وَأَخشـــى أَنْ أَمـــوتَ مِـــنَ البَيـــانِ
فَقَـــد أَصـــبَحتُ لا فَرِحـــاً بِـــدُنيا وَلا مُســـــــتَنكِراً دارَ الهَـــــــوانِ
يُقَلِّبُنـــي الهَـــوى ظَهْـــراً لِـــبَطنٍ فَمـــا أَخفَـــى عَلـــى أَحَـــدٍ يَرَانـــي

ولذلك سرعان ما يلوذ من عجزه عن السُّلو بملاذ من عقيدته فيرجعُهُ إلى قضاء الله وقدره وأنَّه أمرٌ لا حيلةَ فيه ولابرءَ منه(*)[٣٦] :

فَاتْرُكـــا لَـــومي فَـــإِنِّي عاشِـــقٌ كَتَـــبَ اللَـــهُ عَلَيـــهِ مـــا كَتَـــب

❁ ❁ ❁

ولبشَّار ، من هذا النَّحو ، **العديد من القصائد الغزليَّة التي سلكَ فيها النَّسق العذري من حيث موضوعها وإيقاعها العام ونظام عباراتها** . ومن أدلِّ قصائده على ذلك قوله[٣٧] :

أَخُشَّـــابَ حَقّـــاً أَنَّ دارَكِ تُـــزعِجُ وَأَنَّ الَّـــذي بَينـــي وَبَينَـــكِ يَـــنْهِجُ
إِلـــى اللَـــهِ أَشـــكو أَنَّ بِالقَلـــبِ كُربَـــةً مِـــنَ الشَّـــوقِ لا تَبلـــى وَلا تَتَفَـــرَّجُ
أَقـــولُ لِأَصـــحابي دَعـــوني رَهينَـــةً لِبَحـــرِ الهَـــوى لا شَـــكَّ أَنِّـــي مُلَجِّـــجُ
لِخُشَّـــابَةَ السُّـــلوانُ وَالعِطـــرُ وَالجَنَـــا وَلـــي حُـــرَقٌ تَحـــتَ الهَـــوى تَتَـــوَهَّجُ
وَيـا كَبِـداً قَـد أَنضَـجَ الشَّـوقُ نِصْـفَها وَنِصْـفٌ عَلـى نـارِ الصَّـبابَةِ يُنْضَـجُ
فـإِنْ جئتهـا بـين النِّسـاء فقـل لهـا عليـك سـلامٌ مـاتَ مَـنْ يتـزوَّجُ
بَكَيـتُ وَمـا فـي العَـينِ مِنِّـي خَليفَـةٌ وَلَكِـنَّ أَحزانـاً عَلَـيَّ تَـوَلَّجُ
وَلَـو مُـتُّ كـانَ المَوتُ خَيـراً مِـنَ الشَّـقا وَمـا لِلفَتـى مِمَّـا قَضَـى اللَـهُ مَخْـرَجُ

والقصيدة كلّها ــ كما نرى ــ صورة من الهوى العذريِّ ، ومن التصريح بالعجز واليأس المعروفين في غزل العذريين . بل لا نغالي إذا قُلنا : **إنَّ بشَّاراً في هذه الأبيات يفوق بعض العذريين في إظهار الوَجْد ولَذْعةِ الجوى** ، ولا سيما قوله البارع :

وَيـا كَبِـداً قَـد أَنضَـجَ الشَّـوقُ نِصْـفَها وَنِصْـفٌ عَلـى نـارِ الصَّـبابَةِ يُنْضَـجُ

ومن هذا القبيل قوله في قصيدة أُخرى[٣٨] :

أَلاَ حَـيِّ ذا البَيـتَ الَّـذي لَسـتُ نـاظِراً إِلـى أَهلِـهِ إِلَّا بَكَيـتُ إِلـى صَـحْبي
أَزورُ سِـــواهُ وَالهَـــوى عِنـــدَ أَهلِـــهِ إِذا مـا اِسـتَخَفَّتني تَبـاريحُ مِـن حُبِّـي
وَإِنْ نـالَ مِنِّـي الشَّـوقُ واجَهـتُ بابَهـا بِإِنسـانِ عَـينٍ مـا يُفيـقُ مِـنَ السَّـكبِ
كَمـا يَنظُـرُ الصَّـادي أَطـالَ بِمَنْهَـلٍ فَحَـلَّأَهُ الـوُرَّادُ عَـن بـارِدٍ عَـذْبِ

تَصُـدُّ إذا مـا النَّـاسُ كانَـت عُيـونُهُم عَلَينـا وَكُنَّـا لِلمُشـيرينَ كَالنَّصـبِ
عَلـى مُضْـمَرٍ بَـينَ الحَشـا مِـن حَـديثِنا مَخافَـةَ أَنْ تَسـعى بِنـا جـارَةُ الجَنْـبِ
وَقَـد كُنـتُ ذا لُـبٍّ صَـحيحٍ فَأَصـبَحَت عُبَيـدَةُ بِـالهِجرانِ قَـد أَمرَضَـت لُبِّـي
وَلَسـتُ بِأَحيـا مِـن جَميـلِ اِبـنِ مُعْمَـرِ وَعُـروَةَ إِن لَـم يَشـفِ مِـن حُبِّهـا رَبِّـي
تَعُـدُّ قَلـيلاً مـا لَقيـتُ مِـنَ الهَـوى وَحَسْـبي بِمـا لاقيـتُ مِـن حُبِّهـا حَسْـبي
إِذا عَلِمَـتْ شَـوقي إِلَيهـا تَثاقَلَـت تَثاقُـلَ أُخـرى بَـانَ مِـن شِـعْبِها شِـعْبي
فَلَـو كـانَ لـي ذَنـبٌ إِلَيهـا عَـذَرتُها بِهَجـري وَلَكِـن قَـلَّ فـي حُبِّهـا ذَنْبـي

فاعتزالُهُ بيتَ الحبيب وزيارةَ سُواه خشية المُفسدين والغاضبين والنَّمامين ، هي ظاهرةٌ واضحةٌ في أشعار العذريين مع ما فيها من تعبيرهم المعهود عن صبابتهم ووجدهم بمن يتعشَّقُونَهم . ولنقارن هذا القسم من قصيدته بقول جميل بُثينة[٣٩]:

سَـقى الله بيتـاً لسـتُ أقـرب أهلَـهُ ولا أنـتَ إلاَّ أنْ يُعنَّـف زائِـرُهْ
رأيتُـك تـأتي البيـتَ تُـبغضُ أهلَـهُ وقلبـكَ فـي البيـتِ الـذي أَنـتَ هـاجِرُهْ

أو قوله[٤٠]:

أَلاَ أيُّهـا البيـتُ الـذي حيـلَ دونَـهُ بنـا أَنـتَ مـن بيـتٍ وأهلُـكَ مـن أَهْـلِ
بنـا أَنـتَ مـن بيـتٍ وحولـك لـذةٌ وظُلّـكَ لـو يُسـطاع بالبـارد السَّـهلِ
ثلاثـة أبيـاتٍ فبيـتٌ أُحبُّـهُ وبيتـانِ لَيْسـا مِـنْ هَـوايَ ولا شـكلي

وكذلك (تمرُّد القلب على محاولة السَّلوى) شاع في دنيا العشَّاق وغَدَا مَعْلماً من مَعالم العشق في غزلهم العفيف[٤١] . وفي هذا يقول بشار[٤٢] :

وَلَقَـد أَقـولُ لِصـاحِبٍ لـي مُهتَـرٍ قَـد مـاتَ مِـن كَلَـفَ بِهـا أَو كَـادا
حَتَّـامَ تُجشِّـمُني الصِّـبى وَتَشُـفُّني بَـل لَيـتَ غَيـرَكَ يـا فُـؤادُ فُـؤادا
مـا زِلـتَ تَـذكُرُ وَجْهَهـا وَحَـديثَها مُنـذُ اِنصَـرَفتَ وَمـا ذَكَـرتَ مَعَـادا

ويقول مرَّةً أُخرى مصوِّراً حبَّه على أنَّه داءٌ شديدٌ لا دواءَ له إلاَّ وَصْل المعشوق . وهـــو ما نجده في شعر العذريين وما يشيع في أخبارهم من مرضهم وآلتماس الدَّواء لهم عند العرَّافين في اليمامة وغيرها[٤٣] :

وَنَصـــــيحَينِ أَلَمَّـــــا بـــــاكِراً ... بِطَبيـــــبٍ وَطَبيبـــــي المُجتَنَـــــب
سَـــأَلاني وَصـــفَ مـــا أَلقـــى وَلا ... أَســـتَطيعُ الوَصـــفَ إِنِّـــي مُكتَئِـــب
غَيـــرَ أَنِّـــي قُلـــتُ فـــي قَولِهِمـــا ... قَولَـــةً أَخفَيْتُهـــا كَالمُنتَئِـــب
بَيَّنـــا مِـــن قُربِـــهِ لـــي حاجَـــةً ... ثُـــمَّ لا يَقـــرُبُ وَالـــدَّارُ صَـــقَب
يـــا خَليلَـــيَّ أَلِمَّـــا بـــي بِهـــا ... نَظـــرَةً ثُـــمَّ سَـــلانِي عَـــن وَصَـــب
شُـــغِلَت نَفسِـــيَ عَـــن وَصْـــفِ الهَـــوَى ... بِإِشـــتِياقي أَنْ أَراهـــا وَطَـــرَب
فَاتْرُكـــا لَـــومي فَـــإِنِّي عاشِـــقٌ ... كَتَـــبَ اللَـــهُ عَلَيـــهِ مـــا كَتَـــب

وما أشبه ذلك ممَّا لو تقصيتُهُ لَكُثر وطال .. ولكنِّي أَكتفي بما جئتُ به هنا لأُشير إلى **أنَّ بشَّاراً كان ينظم غزلاً لا يختلف عن غزل العذريين في عفَّتِهِ وعاطفتِهِ وأسلوبِهِ الفنِّي ، وإلاَّ فبماذا نُفسِّر قوله السَّابق :**

وَلَسـتُ بِأَحْيـا مِـن جَميـلِ اِبـنِ مُعْمَـرِ ... وَعُـروَةَ إِنْ لَـم يَشـفِ مِـن حُبِّهـا رَبِّـي

أَلاَ يدل هذا على كون بشَّار يتشبَّه بالعذريين أو يشبهُهُم ويحاول أنْ يقاربَهم في مثالهم الأعلى للحبِّ .

وقد يعترضُ علينا معترضٌ فيقول : **إنَّ غزلَ هذا الشَّاعر لا يعد غزلاً عذريّاً ؛ لعدم صدوره عن شاعرٍ عُذريٍّ . إذْ من المعروف عن بشَّار إنَّه كان عاشقاً لأكثر من امرأة كما إنَّ له قصائدَ ماجنة غارقة في الجنس إلى جانب قصائده التي اقتصرت على تصوير الوجد والشَّوق والمُعاناة .**

وهذه معارضةٌ صحيحةٌ **... ولكن من الحقِّ أنِّي شملتُ بالبحث نصوصاً غلب عليها المثال الفنِّي للشِّعر العذري غلبةً واضحةً في محتواه ولفظه ، ولم أشترط أنْ يكونَ غزل الشَّاعر كلُّه عذريّاً ، ولا أنْ يكونَ الشَّاعر عاشقاً خالصاً نقيّاً ، كان المعيار عندي هو المعيار الفنِّي لكل**

نصٍّ على حدةٍ ، فإذا كان علينا أنْ نُجيبَ على السُّؤال عن علاقة النَّص العذريّ (بشاعرنا) غير المعروف بالعذريَّة ، فالجواب بسيط ، وهو أنَّه نَظَم نصَّهُ بدافع التفنُّن ، وليس مُستبعداً أنْ يصدرَ النَّص عن تجربةٍ صادقةٍ لم تستغرق حياة الشَّاعر ولم تستنفذ طاقتَهُ الفنيَّة .

على أنَّه من الأهميَّة بمكان هنا أنْ نُشير إلى عاملٍ مهمٍّ ربَّما كان له شأنُهُ في إرساء دعائم هذا النَّوع من الغزل عند الشَّاعر.. ونعني بذلك الفترة التي عَمَدَ فيها إلى القول في هذا الفن ، فقارئ ديوان بشَّار يستطيع أنْ يُقسِّمَ أشعاره على قسمين ــ بل على مرحلتين زمنيتين ظاهرتين ــ **القسم الأول** الذي نظمه قبل أنْ تشتعلَ في نفسه جذوة الشُّعوبيَّة ، وهو لا يعدُو ــ في رأينا ــ الهجاء والغزل والافتخار بالعرب وبمواليه القيسيين بصفةٍ خاصَّةٍ بمثل قوله[٤٤] :

إنَّنـــي مِـــن بَنـــي عُقَيـــلِ بـــنِ كَعْـــبٍ مَوضِـــعَ السَّـــيفِ مِـــن طُلَـــى الأَعنـــاقِ

ونحوه[٤٥] :

أَمِنْـــتُ مَضَـــرَّةَ الفَحشـــاءِ إِنِّـــي أَرى قَبَســـاً تُشَـــبُّ وَلا تُضـــارُ
كَـــأَنَّ النَّـــاسَ حـــينَ نَغيـــبُ عَـــنهُم نَبـــاتُ الأَرضِ أَخلَفَهـــا القِطـــارُ
وَقَـــد عَرِكَـــت بِتَـــدمُرَ خَيْـــلُ قَـــيسٍ فَكَـــانَ لِتَـــدمُرٍ فيهـــا دَمَـــارُ
بِحَـــيٍّ مِـــن بَنِـــي عَـــيْلانَ شـــوسٍ يَســـيرُ المَـــوتُ حَيـــثُ يُقـــالُ سَـــاروا

و[٤٦] :

لِأَلقـــى بَنـــي عَـــيْلانَ إِنَّ فِعـــالِهُم تَزيـــدُ عَلـــى كُـــلِّ الفَعَـــالِ مَراتِبُـــهْ
أَولاكَ الأُلـــى شَـــقُّوا العَمَـــى بِسُـــيوفِهِم مِـــنَ العَـــيْنِ حَتَّـــى أَبصَـــرَ الحَـــقَّ طالِبُـــهْ

وكان بشَّار ــ كذلك ــ يتمدَّح كثيراً بنساء مواليه بني عقيل بن كعب ؛ **وكأنَّه يُريد أنْ يُلبس ولاءَهُ القبلي غلالةً من الغزل على نحو ما يفعل الشَّاعر المعاصر حين يُعبِّر عن مشاعره الوطنيَّة والقوميَّة ممزُوجة بالغزل وجوِّه ورموزه مُحدثاً التوافق بين ماهو ذاتي خاص وبين القضيَّة العامة** . ومن نماذجه في ذلك رائيته المشهورة التي أوَّلها[٤٧] :

قُـــم خَليلـــي فَـــانظُر أَراكَ بَصِـــيرا هَـل تَـرى بِالرَّسـيسِ ذي النَّخـلِ عِيـرا

وفيها يقول بعد هذا البيت :

صـــادِراتٍ ذاتَ العِشـــاءِ عَلـــى الجَفـــ ـــرِ سِـــراعاً لا بَـــل بَكَـــرْنَ بُكـــورا
ظُعُنـــاً مِـــن بَنـــي عُقَيـــلِ بـــنِ كَعـــبٍ مُشـــرِفاتِ الوُجـــوهِ عِينـــاً وَحُـــورا
يَتَصَـــبَّحنَ فـــي الحِجـــالِ وَيَلبَســـْ ـــنَ إِذا رُحْـــنَ لِلِّقـــاءِ العَبيـــرا
ثاوِيـــاتٍ عَلـــى البَلـــيخِ مَحـــلّاً فـــي قِبـــابٍ أَو يَنثَنـــينَ قُصـــورا
رُبَّمـــا سُـــمْنَني عَواطِـــفَ أَعنـــا قٍ كَمـــا تَرمُـــقُ العُيـــونُ الصَّـــبيرا
يَتَعَرَّضـــنَ فـــي البُـــرودِ لِـــذَيَّا لٍ يَجُـــرُّ الصِّـــبا وَيَرعـــى السُّـــتورا
هـــامَ قَلبـــي مِـــنْهُنَّ يـــا اِبنَـــةَ مَســـؤ رٍ وَأَودى صَـــبري وَكُنـــتُ صَـــبورا
لَـــم أُسَـــهَّد مِـــنَ المَـــراحِ وَلَكِـــن طـــالَ لَيلـــي بِهـــا وَكـــانَ قَصـــيرا

فهو يصفهنَّ بالجمال والتَّرف والرَّاحة ، وهو كما يبدو متأثر بصورة المرأة عند الجاهليين فهم كانوا يفضِّلون (المُنعَّمة) المُترفة من النِّساء (التي تطأُ الخزَّ ولا تكرمه) ، مثلاً ، والتي استغنت عن العمل فصارت تُوصف بأنَّها (نؤُوم الضُّحى) ؛ لأنَّها تُعبِّر عن قيمة اجتماعيِّة سائدة واعتقاد بأنَّ المرأة الكسُول هي الشَّريفة الكريمة . وليس من شك في أنَّ هذه الأوصاف التي ذكرها الشَّاعر في أبياته ، وفي نظيراتٍ لها ، قد قالها **قبل أنْ يتحوَّل شعورُهُ بالعصبيَّة القبليَّة إلى شعورٍ جديدٍ بالعصبيَّة الجنسيَّة على نحو ما سنرى .**

وفي الحقِّ أنَّ أكثرَ الأغراض وضوحاً في هذه المرحلة من حياة الشَّاعر هو (**الغزل**) وكان ينحو فيه منحىً بدويّاً يُشيد فيه بالمرأة العربيَّة الحرَّه التي كان يتغزّل بها الشُّعراء القدماء كما يُشيد فيه بالأماكن النَّجدية والحجازيَّة ؛ وكأنَّه يُريد أنْ يُعطيه ضرباً من العبادة والقداسة . ومن هذا الغزل الذي تميَّز بملامح البداوة وتوشي بسمات الطُّهر قوله يصف الحرائر من الصَّبايا المُسلمات[٤٨] :

أُنـــسٌ غرائـــرُ مـــا هَمَمْـــنَ بريبـــةٍ كظبـــاءِ مكَّـــةَ صـــيدهُنَّ حَـــرامُ
يُحْسَـــبْنَ مـــن لِـــينِ الحـــديثِ زوانيـــاً ويصُـــدَّهُنَّ عـــن الخَنـــا الإســـلامُ

وهذا شعرٌ عفيفٌ بعيد أشد البُعد عن اللَّفظ المُستهجن والعبارة النَّابية فلا يصف مجوناً ولا استهتاراً ولا يصف ما يقع له إلاَّ في حرصٍ وأناة ، الأمر الذي يحمل على القول في يقين إنَّ

هذه المعاني كانت ترتبط ارتباطاً عميقاً بتلك الفترة من حياة الشَّاعر حين كان لا يزال نَقيَّ النَّفسِ إلى حدٍّ ما . وبوحي من هذا القول نستطيع أنْ نفهمَ سرَّ تلك الصُّور الرَّائعة التي تفنَّن في رسمها فجعلنا أمام حبيبة (**مُميَّزة**) تختلف عن سواها ، ثم وقفَ منها موقفاً مغايراً لكل مواقفه التي انغمس فيها ، فيما بعد ، غابَ جنون الشَّهوة وغابتْ نظرتُهُ التي تنفذ كالسِّهام في مفاتن الأنثى عضواً عضواً ـ ما خفي منها وما ظهر ـ لا يُراعي في ذلك حرمةً أو ذوقاً ، وحلَّ محلَّ ذلك هذه الصِّفات النفسيَّة الرقيقة الزكيَّة .

كل هذا يعن لنا في عرضي لِمَا حدَّدَهُ القسم الأول ، وأما **القسم الثاني** ، فهو مجموعةٌ من الأشعار نظمها بعد أنْ اشتعلتْ في نفسه جذوة الشُّعوبيَّة التي كانت خامدةً وصار يفتخر بنسبهِ الفارسي ويتبرأُ من ولائِهِ للعرب ، بل ويتمرَّد عليهم قاطبةً[٤٩] . وتمتاز هذه المرحلة الزَّمنيَّة من حياة الشَّاعر بالإباحيَّة المُسرفة والاندفاع في الغزل الحسِّي المكشوف . وقد ظهر صداها في أشعاره التي تصوِّر جرأتَهُ وتماديه في كشف أعراض النِّساء وثورته على النُّظم والأخلاق والأديان صراحةً ، وكأنَّما سقط من وجههِ كلُّ حياءٍ مُمكن . ويبدو أنَّ الإماء والقيان كُنَّ هدفاً لغزل بشَّار الماجن ، فهو يتغزل فيهنَّ لا في هؤلاء الحرائر اللاَّئي كان يتغزل فيهنَّ شعراءُ العصر الإسلامي ، ومن ثمَّ اندفع في فحشِهِ ومجونِهِ . ومن هذا الغزل رائيته المشهورة التي صوَّر فيها تغريره بفتاةٍ صغيرةٍ وحيرتها فيما تتعلَّل لِأَهلها حينما يَرونَ في جسدها آثار فَتْكِهِ بها ، يقول فيها[٥٠] :

حَسبي وَحَسبُ الَّتي كَلِفتُ بِها ... مِنِّي وَمِنها الحَديثُ وَالنَّظَرُ
أَو قُبلَةٌ في خِلالِ ذاكَ وَلا ... بَأسَ إِذا لَم تُحلَّلِ الأُزُرُ
أَو لَمسُ ما تَحتَ مِرطِها بِيَدي ... وَالبابُ قَد حالَ دونَهُ السُّتُرُ
وَالسَّاقُ بَرّاقَةٌ خَلاخِلُها ... وَالصَّوتُ عالٍ فَقَد عَلا البُهُرُ
وَاِستَرخَتِ الكَفُّ لِلغَزالِ وَقا ... لَت أُلهُ عَنِّي وَالدَّمعُ مُنْحَدِرُ
اِذهَب فَما أَنتَ كَالَّذي ذَكَروا ... أَنتَ وَرَبِّي مُعارِكٌ أَشِرُ
وَغابَتِ اليَومَ عَنكَ حاضِنَتي ... فَاللَهُ لي اليَومَ مِنكَ مُنتَصِرُ
يا رَبِّ خُذْ لي فَقَد تَرى ضُعُفي ... مِن فاسِقِ الكَفِّ ما لَهُ شُكُرُ
أَهوى إِلى مِعْضَدي فَرَضَّضَهُ ... ذو قُوةٍ ما يُطاقُ مُقتَدِرُ
يُلصِقُ بي لِحيَةً لَهُ خَشُنَت ... ذاتَ سَوادٍ كَأَنَّها الإِبَرُ

حَتَّـــى اِقتَهَرنـــي وَإِخـــوَتي غَيَـــبٌ وَيلـــي عَلَـــيهِم لَـــو أَنَّهُـــم حَضَـــروا
كَيـــفَ بِـــأُمِّي إِذا رَأَت شَـــفَتي وَكَيـــفَ إِنْ شـــاعَ مِنـــكَ ذا الخَبَـــرُ
قُلـــتُ لَهـــا عِنـــدَ ذاكَ يـــا سَـــكَني لا بَـــأسَ إِنِّـــي مُجَـــرِّبٌ حَـــذِرُ
قـــولي لَهُـــم بَقَّـــةٌ لَهـــا ظُفُـــرٌ إِنْ كـــان فـــي البَـــقِّ مـــا لَـــهُ ظُفُـــرُ

وهكذا نجد لبشَّار صنفينِ من الشِّعر في القول ، صنفٌ يُخاطب به الإمَاء والجواري فيسقط إعياء على الوصف المُبتذل والصُّور الماجنة والرُّسوم الحسيَّة والألفاظ الباردة الغَثَّة الغليظة فيمجُّهُ السَّمع ويأْباهُ العقل . وصنف يُخاطب به الشِّعر العربي ، فيلحق بالسَّادة من الغزلين في شرف اللفظ وحلو المعنى فيقع على خيرِ غَزَلٍ قاله كفيف .

قد يكون هذا ، وغيرُهُ ، هو الذي أتاح للشَّاعر أنْ يبلغَ هذه المرتبة السَّامية في الغزل بحيث لا نجد فيه معنىً مُستكرهاً أو تصويراً غليظاً يَنْبُو عن العذريَّة ويخل بمقاييسها . ولكنَّه من الأنصاف أنْ نقول : **إنَّ أقوى دلائل العبقريَّة الشِّعريَّة عند بشَّار مقدرته على أنْ يعيشَ أيَّ تجربةٍ ، فقد كان بقوة خياله وتمكّنه من صنعته الفنيَّة وامتلاكه لناصية الفن الشِّعري ، قادراً على أنْ يعيشَ المواقف المختلفة حتى ولو لم تكن تتعلق بذاته الضيِّقة ، أو بأموره الشَّخصيَّة البَحْتة ، وحتى ولو لم يصدر فيها عن عاطفة تربطه بالموقف المُثار ، فلقد كان لديه العقل الخالق الذي لايحتاج إلى موقفٍ شخصيٍّ ، فإرادته الفنيَّة ، وتمكنه من صنعته كفيلتان بآستلهام الموقف وآستحضاره وبالتَّالي خلقه .**

ونحن إنَّما نُسجِّل هذا كلَّه لننفذ منه إلى توكيد حقيقة سبق شرحها وتقريرها ، وهي : **أنَّ الفنان الحقيقي لا يقتصر على تصوير ما يقع لذاتِهِ من تجارب أو أحداث ، ولا يقتصر على خلق ما يحياهُ ويأمل أنْ يحياهُ وما يعجز أنْ يحياهُ فَحَسْب ، وإنَّما يخلق ما يحياهُ الإنسان أيُّ إنسان في أيِّ مكان وتحت أيِّ ظروف سواءً خضع الفنَّان لهذه الظُّروف شخصياً أم لم يخضع.**

بَقِيَ أنْ نُشير إلى شيئين هامَّين : **أولهما** أنَّ ميل شاعرنا إلى هذا الغزل وإلى احتذائِهِ طريقة العذريين وأساليبهم وأخيلتهم فيه كثيراً ما يؤدي بالسَّامعين إلى استنكار ما يأتي به . ولكي نطمئن إلى هذا الاستنتاج نُورد ما حكاهُ أبو الفرج الأصفهاني من أنَّ رجلاً سَخَرَ من بشَّار بأنْ قال له : كأنَّك فيلٌ عرضك أثقل من طولك ، وذلك عندما روي له قوله[٥١] :

فـــي حلَّتِـــي جسْـــمُ فتـــىً ناحـــلِ لـــو هبَّـــت الـــرِّيحُ بـــهِ طاحـــا

وسواء كان الخبرُ يهدف إلى النكتة أم كان حقّاً ، فأنَّ الشعرَ نفسَهُ أوقع بشَّاراً في التَّناقض والفشل في الإقناع ممَّا جعل قارئ شعره يعدَّ بعضَ غزله الذي يتشبَّه فيه بالعذريين هَذْراً ولَغْواً لا قيمةَ له . ولقد وصل فشل الشَّاعر في الإقناع أنَّ الباحثين في شعره يكادونَ يقصرونَ بحوثهم على مغامراتِهِ وصورة المرأة في شعره . ولعلَّ إهمال المؤلفين القدماء له في كتب العشَّاق هو أيضاً من مظاهر فشل الشَّاعر في الإقناع . **ومن الواضح أنَّ هذا الحكم متأثر بما يُعرف من سيرة الشَّاعر أنْ لا يقتصر على أُنموذج نسائي واحد في كلِّ غزله ، وأنْ تكونَ له علاقات لاهية** ـ كما قدمنا ـ **ولكن كل ذلك من خارج النَّص أمَّا النَّص نفسُهُ فعذريٌّ عفيف .**

وثاني ذينك الشيئين : إنَّ غزل الشَّاعر ليس كلُّهُ على هذا النَّحو العذري بمعناه الكامل فإنَّ منه ما يجنح إلى صور من التعبير العاطفي الذي **يأخذ** من الغزل العذري عفَّتَهُ وشجنَهُ **ويُخالفه** في معجمه وأسلوبه وإيقاعه العام ؛ **وكأنِّي بالشَّاعر أراد أنْ يخرج بهذا الغزل من دائرته المغلقة ويمدَّه بدماء جديدة** . ومن خير النَّماذج في هذا الاتجاه قصيدته البائية التي يمزج فيها بين روح العذريَّة والاقتراب من طبيعة العصر في أسلوبهِ ولغتهِ . يقول في أبياتها الأُولى[٥٢] :

يـــا صـــاحِبَيَّ العَشِـــيَّةَ اِحتَسِـــبا جَـــدَّ الهَـــوى بِـــالفَتى وَمـــا لَعِبـــا
وَاللَـــــهِ وَاللَـــــهِ مـــــا أَنـــــامُ وَلا أَملِـــكُ عَينـــي دُموعَهـــا طَرِبـــا
أَبقـــى لَنـــا الـــدَّهرُ مِـــن تَـــذَكُّرِ مَـــن قَـــد كـــانَ جـــاراً فَبَـــانَ وَاِغتَرَبـــا
مـــا كـــانَ ذَنبـــي أَنِّـــي شَـــقيتُ بِـــهِ وَشُـــؤْمَ عَـــيْنٍ كانـــت لَنـــا سَـــبَبا
أَفرَغـــتُ دَمعـــي عَلـــى الحَبيـــبِ فَأَعْـــ ـــجَبْتُ رِجـــالاً وَلَـــم أَكُـــنْ عَجَبـــا
مـــا كـــانَ حُبِّـــي سَـــلْمى وَرُؤيَتُهـــا إِلَّا قَـــذَىً فـــي مَـــدامِعي نَشِـــبا
لِلَّـــهِ سَـــلمى إِذْ لا تُطيـــعُ بِنـــا الـــ ـــواشي وَإِذْ لا نُطيـــعُ مَـــنْ عَتَبـــا
زَيـــنَ الجَـــواري خُلِقْـــتِ مِـــن عَجَـــبٍ وَالحِـــرْصُ عَجـــلانُ يَفضَـــحُ الأَدَبـــا

فالأبيات في إطارها العام وروحها الغالبة ليست بعيدةً عن طبيعة العذريَّة ، **ولكنَّ الشَّاعر عرضها في أسلوب فيه الطَّراوة والرَّخاوة ، وفيه ألفاظ المُولدين وتراكيبهم** كما يتمثَّل في قوله : (والله والله ما أنام) ، وفي قوله : (زين الجواري) . **ولعلَّه من هنا نلمس فرقاً واضحاً بين**

هذه الأبيات ، وأبياته السَّابقة التي ينهج فيها نهج العذريين في ألفاظهم وبناء عبارتهم وأساليبهم .

وشبيه بهذا ما صنعه في مقطوعة له نلمسُ فيها **مرونة في الإيقاع العام ، والمعجم الشِّعري ، وبناء العبارة** ، مع ما فيها من رُوح العذريين . والمقطوعة هي[٥٣] :

نـور عينـي أَصـبت عينـي بسـكب يـوم فـارقتني علـى غيـرِ ذنْـبِ
كَيـفَ لَـم تَـذكُري المَواثيـقَ وَالعَهـْ ـدَ وَمـا قُلـتِ لـي وَقُلـتِ لِصَـحْبي
مـا تَصَـبَّرتُ عَـن لِقائِـكِ إِلَّا قَـلَّ صَـبري وَباشَـرَ المَـوتُ قَلبـي
لَيتَنـي مِـتُّ قَبـلَ حُبِّـكِ يـا قُـرْ رَةَ عَينـي أَو عِشـتُ فـي غَيـرِ حُـبِّ

وله[٥٤] :

لقـد كُنـتِ علـى العَيْنَيْـ ـنِ والـرَّأس فَنُحيِّـتِ

و...[٥٥]

لا تَلْعبـي بِحيـاتي وآقطَعِـي أَملِـي صَـبْراً علـى المـوتِ أنَّ المـوتَ مـورُودُ

فعبارات (نور عيني) و (ما قلت لي وقلت لصحبي) و (قرَّة عيني) و (كنت على العينين والرأس فَنُحيت) و (لا تلعبي بحياتي) ، من لغة الحياة اليوميَّة البسيطة التي تستمد دفأَها من تجاوبها مع مشاعر سامعِهِ ، وتحقق حضورَها وأُلفَتها من اشتباكها بجيلهِ وعصره . وكل ذلك يقرب هذا الشِّعر من غزل العذريين ، **ولكنْ من الواضح أنَّ الشَّاعر أراد أنْ يَزيدَ عليهم فاستخدم هذه الألفاظ والعبارات المولدة المحكيَّة ، لكي يضمن له البساطة والخفة ، ويكفل له الذُّيوع والدَّوران بين الجماهير .**

ومن هذا القبيل ، أيضاً ، دقائق وطرائف في المعاني والصُّور تمس الحدودَ التي وصل إليها العذريُّون أنفسُهُم ، **مع مافيها من ألوان حضريَّة واضحة** ، ومنها على سبيل المثال ، ما سمَّاه القدماء (التَّشكك) وعدُّوه من مُلَح الشِّعر . ومن أمثلته عند بشَّار قوله[٥٦] :

وعلمـتُ أنَّ الصُّـرْمَ شـيمتكُمْ فـي النَّـأْيِ والهجـرانَ فـي القُـرْبِ

فَظَلِلْـــتُ لا أدري أُقـــيمُ علـــى الـــ ـــــهجرانِ أو أَغـــدُو مـــع الرَّكْـــبِ
فَلَـــئِنْ غـــدوتُ لقـــد أُصـــبْتُ بكُـــمْ ولَـــئِنْ أَقمْـــتُ لَمُسْـــهَبُ اللُّـــبِّ

وله[٥٧]:

تُمنِّينَنِـــي حُسْـــنَ القضـــاءِ بعيـــدةً وتلـــوينَنِي دينـــي وأَنـــتِ قريـــبُ
فـــو اللهِ مـــا أَدري أَتجحـــدُ حبَّنـــا عبيـــدةُ أم تجـــزِي بـــهِ فتُثيـــبُ

وأظنُّ لسنا بحاجة لِأَنْ نُعيد في جمال هذه الأقوال ، **ولكنَّها امتدادٌ للشِّعر العذري الأصيل فيها من ظلال البادية سلامة التعبير وصدق العاطفة ومن ألوان الحاضرة أناقة الأسلوب ودماثة الظُّرفاء المُرهفين .**

وغاية القول في بشَّار إنَّه نظم غزلاً عذريّاً صرفاً على المثال البدوي ، حتى أنَّنا لو قرأْنا هذا الغزل دون معرفة بصاحبه لمَا خامرنا أي شكٍّ في أنَّه لواحد من هؤلاء العذريين كجميل أو كُثيِّر أو المجنون أوغيرهم .

على أنَّنا مع ذلك نجد عنده قصائد لا تخلو من أشواق العذريين وتهويماتهم ، ولكنَّها تختلف عنهم فيما يبدو فيها من حداثة نسبيِّة في المعجم والصُّورة وبناء العبارة الشِّعريَّة محققاً روحاً عصريةً في إطار قديم .

ومن هنا لا نُغالي إذا قلنا : إنَّ موجةَ العذريَّة قد انحسرت بوجهٍ عامٍّ ولم تعد حركةً أو ظاهرةً مشتركةً كما كانت عند نشأتها وإبَّان ازدهارها . بل أصبحت ــ كما قلنا من قبل ــ **موضوعات فنيَّة يتغنى بها الشُّعراء لا نمطَ حياةٍ يتقيَّد بها الإنسان** . ولعلَّهم لذلك ينجحون في تقليدها مرَّة وفي الإضافة إليها مرَّة ، ويفشلون مرَّات . **وهذا ما حدث لبشَّار** .

❁ ❁ ❁

خاتمة :

إتضح لنا من كلِّ ما قدمناه أنَّ غزل بشار العذري أشبه في مضمونِهِ وخصائصِهِ بغزل المتيمين الجاهليين والعذريين الأمويين .. غير أنَّنا نحس ، مع ذلك ، أنَّ الشاعر لم يقف به على ما ورثهُ عن القدماء ، وإنَّما أدخل فيه جملة تجديدات وتحسينات ؛ وكأنَّما أراد بذلك أنْ يُخرج

الغزل العذري من دائرتِهِ المُغلقة ويمدُّهُ بدماءٍ جديدة . ولكنَّنا ألمحنا إلى أنَّ هذا الغزل لم يكن مقنعاً فنيّاً في غالبهِ ؛ لكونه غريباً عن العذريَّة الحجازية التي أدَّت بالشاعر العذري ــ لفرط انتشارها من جهة ووحدة موضوعها وضيق آفاقه من جهة أخرى ــ إلى مصطلحات معيَّنة كانت بمثابة القوالب التقليديَّة ، التي لا يجوز لغير العذري أنْ يَحيدَ عنها أو يغفلها وإلاَّ خرق قواعد العذريَّة وخرج على أُصول العذريين .

الهوامش :

[١] Denis de Rougemont. les Mythes de L' Amour p. 144.

[٢] ديوانه : ق ٢٠٨ / ٢١٦ .

[٣] الشعر والشعراء : ٥٧١.

[٤] ديوانها : ٠٩٦ تقول ليلى : **لنا صاحبٌ لاينبغي أنْ نخونَهُ وأنتَ لأخرى فارغٌ وحليلُ**

[٥] الأغاني (دار الكتب) : ٩ / ١١٦ .

[*] وذلك لإيماننا بأنَّ العواطف لاتلتزم الدقَّة في جميع الحالات ولا تسير على خطٍّ مطَّردٍ أبداً وليس أدل على ذلك من أنَّ الشعراء العذريين أنفسَهُم لم يكونوا خلوّاً من نزعات الجسد .

[*] في قولنا هذا مخالفةٌ صريحةٌ لقول الأستاذ العقَّاد : إنَّ الحبَّ العذري يُوجد و لا يُوجد ويُعهد في بيئة و لا يُعهد في غيرها ، يعدو أنْ يكونَ لوناً من ألوان الحب يُستطاع في علاقات وتنوء به الطاقة في غيرها من العلاقات . ينظر كتابه (هذه الشَّجرة : ١٨٣)

[٦] مصارع العشَّاق : ١٦٣ .

[٧] نفح الطيب : ٢/ ٦٠٩ . وينظر المغرب : ١٢١/٢ مع اختلاف يسير في اللفظ.

[٨] الاغاني (دار الكتب) : ١٦٨/٢١ .

[٩] طبقات فحول الشعراء : ١٢٤ ، وديوان المعاني : ١ /٢٦٨ .

[١٠] الأغاني (دار الكتب) : ٢٤٢/٦ ، ٢٥٣ .

[١١] ديوانه : ٢٠٦/٤ ، ٢٠٧.

[١٢] الأغاني (دار الكتب) : ٦/ ٢٤٥، ٢٤٦ . ثم ينظر الشِّعر في ديوانه : ١١٧/٤ .

[*] عرفنا هذا من قول بشار : **لِله عبدةُ إذْ غَدَتْ منّا تُزفُّ إلى أبنِ قائد** (ديوانه : ٢٤٤/٢) .

[١٣] ديوانه : ١٧٨/١ ، ١٧٩.

[١٤] نفسه : ٣١٥/٢.

[١٥] نفسه : ٤/ ٨١ .

[١٦] نفسه : ٤ / ١٨، ١٩ .

[١٧] نفسه : ١/ ٣٨١ . وينظر مثله : ١ /٣٥٣.

[١٨] نفسه : ٣/ ٦٨ .

[١٩] نفسه : ٣٦/٢.

[٢٠] نفسه : ٢٧٢/٢.

[٢١] الحب والموت في شعر الشعراء العذريين :١٥٩. نقلاً عن مجلة علم النفس ، مجلد (٦) ، عدد (١) ، ١٩٥٠: ص ٤.

[٢٢] ديوانه : ق٣٠٧/٢٩٩.

[٢٣] شعره : ق٦٢/٥٨.

[٢٤] ديوانه : ق٣٠٧/٢٩٩.

[٢٥] ديوانه : ٧٨.

[٢٦] نفسه : ٤/ ١٠٧ .

[٢٧] نفسه : ٤/ ١٢٣ .

[٢٨] نفسه : ٢/ ١٢٢ .

[٢٩] نفسه : ٢/ ٢٥٩ .

[٣٠] نفسه : ٣/ ٦٢ .

[٣١] نفسه : ٤/ ٢١٨ .

[٣٢] نفسه : ٤ / ٢٢ .

[٣٣] نفسه : ٢/ ٤٠.

[٣٤] شعره : ق١/٩٠.

[٣٥] نفسه : ٤/٢١٨.

[*] كان بشَّار يُؤمن بالجبر وأنَّ الإنسانَ في دُنياه مسيَّر لا مخيَّر وأنَّه لا حولَ له ولا قوةَ أمام ما يخطه له القضاء والقدر. وفي ذلك يقول بيتيه المشهورين :

خُلِقتُ عَلى ما فِيَّ غَيرَ مُخَيَّرٍ هَوايَ وَلَو خُيِّرتُ كُنتُ المُهَذَّبا

أُريدُ فَلا أُعطى وَأُعى فَلَم أُرِد وَقَصَّرَ عِلمـــي أَن أَنالَ المُغَيَّبا

[٣٦] نفسه : ١/ ٢٤٩ .. وأنظر : ١ /١١٩ .

[٣٧] نفسه : ٢ /٩١ .

[٣٨] نفسه : ١/ ١٨٧ ، ١٨٨ .

[٣٩] ديوانه : ١٠٠ .

[٤٠] نفسه : ١٧٦ ، ١٧٧ . بنا أنت من بيت : أي نفديك بأنفسنا أيهذا البيت .

[٤١] ينظر على سبيل المثال : ديوان جميل : ١٦٠ ، وديوان توبة بن الحمير : ٥٣ ، وقيس لبنى : ق ٣٦ / ٩٩

[٤٢] ديوانه: ٢ /١٦٦.

[٤٣] نفسه : ١/ ٣٤٩ . المجتنب : يُريد (محبوبته) . المتئبْ : اسم فاعل من (أتَّاب) أي استحيا . قولهما: أي سؤالهما. الصقب : المجاور . وصب وطرب : أصلهما وصبي وطربي ، وحذفت الياء لأجل القافية ، نظير قوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) .

[٤٤] نفسه : ٤/ ١١٨ .

[٤٥] نفسه : ٣ /٢٥٠ .

[٤٦] نفسه : ١ /٣١٦ .

[٤٧] نفسه : ٣ /٢٣٢،٢٣٤.

[٤٨] نفسه : ٤ /١٩٢ .

[٤٩] ينظر أمثلة لذلك في ديوانه : ١/٢٧٧ ، ٣٨٠ و ٣ / ١٠٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٤٧ ، ٢٥٧ و ٤ / ٦٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ وغيرها .

[٥٠] ديوانه : ٣ / ١٧٠ ، ١٧٢ .

[٥١] الاغاني (دار الكتب) : ٣ /٢٣٣ . وينظر البيت في ديوانه : ٢/١٥٢ .

[٥٢] ديوانه : ١ /٣٢٣ .

[٥٣] نفسه : ١ / ٢٧٤ .

[٥٤] نفسه : ٢ / ١٨ .

[٥٥] نفسه : ٢/ ٢٦٧ .

[٥٦] نفسه : ١/٢١٣.

[٥٧] نفسه : ١/١٧٩.١٨٠.

مصادر البحث ومراجعه :

١. الأغاني ، الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين) ، دار الكتب المصرية ،١٩٦٣م .

٢. الحب والموت في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي ، د. إبراهيم موسى سنجلاوي منشورات مكتبة عمان ، ١٩٨٥.

٣. ديوان بشار بن برد ، نشر وشرح وتعليق : محمد الطاهر ابن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، د. ت .

٤. ديوان توبة بن الحمير الخفاجي ، تحقيق : خليل إبراهيم العطية ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٨م .

٥. ديوان جميل ، جمع وتحقيق: د. حسين نصار، دار مصر للطباعة، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٧م .

٦. ديوان ليلى الأخيلية ، جمع وتحقيق : خليل إبراهيم العطية وجليل العطية ، دار الجمهورية بغداد ، ط٢ ، ١٩٧٧م .

٧. ديوان مجنون ليلى ، جمع وتحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار مصر للطباعة ، د. ت .

٨. ديوان المعاني ، العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله) ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، د.ت.

٩. شعر عروة بن حزام ، تحقيق : د.إبراهيم السامرائي ، وأحمد مطلوب ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد (٤) ، حزيران ، ١٩٦١م .
١٠.طبقات فحول الشعراء ، الجمحي (أبو عبد الله محمد بن سلام) ، طبعة بريل ، ليدن ، ١٩٧٠م .
١١.العفة في الغزل العذري بين الوهم والحقيقة ، د. نضال ابراهيم ياسين ، مجلة دراسات البصرة ، ٢٠١٨م
١٢.مصارع العشاق ، السراج (أبو محمد جعفر بن أحمد) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٨م .
١٣.المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) ، تحقيق : د.شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣م .
١٤.نَفْح الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب ، المقري التلمساني (أحمد بن محمد) ، تحقيق : د. إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٨م .
١٥.هذه الشجرة ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣، ١٩٧٣م .

Research Sources and References :

1. The Songs, Al-Asfahani (Abu al-Faraj Ali ibn al-Husayn), Dar al-Kutub al-Misriyya, 1963.
2. "Love and Death in the Poetry of the 'Udri Poets in the Umayyad Era" by Dr. Ibrahim Musa Sanjlawi, published by Oman Library, 1985.
3. "The Diwan of Bashar Ibn Burd" Edited, Explained, and Annotated by: Muhammad al-Taher Ibn Ashour, Printed by the Committee for Authorship, Translation, and Publishing, Cairo, No Date of Publication.
4. "The Diwan of Toba ibn al-Humayr al-Khafaji" Edited by: Khalil Ibrahim Al-Attiya, Al-Irshad Printing Press, Baghdad, 1968.
5. "The Diwan of Jamīl" Compiled and Edited by: Dr. Hussein Nassar, Dar Misr for Printing, Cairo, 2nd Edition, 1967.
6. "The Diwan of Layla al-Akhiliyya" Compiled and Edited by: Khalil Ibrahim Al-Attiya and Jalil Al-Attiya, Dar Al-Jumhuriya, Baghdad, 2nd Edition, 1977.
7. "The Diwan of Majnun Layla" Compiled and Edited by: Abd al-Sattar Ahmad Farraj, Dar Misr for Printing, No Date of Publication.
8. "The Diwan of Meanings" by Al-Askari (Abu Hilal al-Hasan ibn Abdullah), Al-Qudsi Library, Cairo, No Date of Publication.
9. "The Poetry of Urwah ibn Hizam" Edited by: Dr. Ibrahim al-Samarrai and Ahmad Matloub, Journal of the College of Arts, University of Baghdad, Issue (4), June, 1961.

10. "The Classes of Eminent Poets" by Al-Jumahi (Abu Abdullah Muhammad ibn Salam), Brill Edition, Leiden, 1970.
11. "Chastity in 'Udri Love Poetry: Between Illusion and Reality" by Dr. Nidal Ibrahim Yassin, Basra Studies Journal, 2018.
12. "The Fall of the Lovers" by Al-Siraj (Abu Muhammad Ja'far ibn Ahmad), Dar Sader, Beirut, 1958.
13. "Al-Maghrib in the Ornaments of Al-Maghrib" by Ibn Sa'id al-Maghribi (Ali ibn Musa), Edited by: Dr. Shawqi Dayf, Dar al-Ma'arif, Egypt, 1953.
14. "A Fragrance of Goodness from the Branch of the Noble Andalusia" by Al-Maqri al-Tlemceni (Ahmad ibn Muhammad), Edited by: Dr. Ihsan Abbas, Beirut, 1968.
15. "This Tree" by Abbas Mahmoud Al-Aqqad, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 3rd Edition, 1973.

المراجع الأجنبية :

Rougemont, Denis de. les Mythes de L' Amour. Gallimard 1967